﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ٢ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ٣﴾ [المطففين: 1 - 3]

❁ مُناسَبَةُ مطلع السّورةِ لِخاتمة ما قَبْلَها:

ختامُ الانفِطارِ بإثباتِ البَعْثِ مناسِبٌ للبدءِ بصنيعِ مَن لا يُؤْمِنُ بِهِ

خَتَمَ اللّه تَعالى سورة الانفطارِ بذِكْر أهوال يومِ القيامةِ، يوم لا تَمْلِكُ فيه نفسٌ لنفسٍ نفعًا ولا دفعًا، ويكون السُّلطانُ فيه خالصًا للّه تَعالى وحده، وهو تصويرٌ يحملُ في طيّاته وعيدًا شديدًا للعُصاة، ومِن تمام هذا الوعيدِ أن افْتَتَحَ سُبْحانَهُ هَذِهِ السّورة بقوله: ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ﴾؛ تحذيرًا من جريمة التَّطفيف وزجرًا عن اقترافها[1]؛ لارتباطِ التّطفيف بعدَمِ الإيمان بيومِ الدّين، وإيثار الدُّنيا على الآخرة، فصُدِّرت السّورة بالنَّعي على قومٍ آثَروا الحياةَ الزّائلة على الحياةِ الباقيَةِ، وتَهالَكوا في الحِرْصِ على استيفاءِ أسْبابِها حتَّى اتَّسَموا بأخَسِّ السِّمات، وهي التَّطفيفُ الذي لا يكادُ يُجْدي شيئًا في تَثْميرِ المالِ وتَنْميَتِه[2].

وقد جاءَ هذا الافتتاحُ مُتناسِقًا مع ختامِ سورةِ الانفطار؛ إذ خُتِمَت هُناك بذِكْرِ يوم الدّين، ووقعَ الرَّبطُ البيانيُّ بين السّورتين؛ إذ قيل هناك: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٧ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٨ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ١٩﴾ [الانفطار: 17 - 19]، ثُمَّ جاء مَطْلَعُ هذه السّورةِ مكمِّلًا لذلك السّياقِ، ومؤكِّدًا على حقيقةِ البعثِ والجزاء: ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ٢ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ٣ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ٤ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾[3].

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 31/ 82.
(2) النَّيسابوري، غرائب القرآن: 6/ 462، وأبو حيّان الغرناطي، البحر المحيط: 10/ 426.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 189.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾: التَّطفيفُ: النُّقصانُ، وأصلُ (طفف): يدُلُّ على قِلَّةِ الشَّيءِ[1]، وإناء طفافٌ؛ إذا لم يكُن ملآن، والشَّيء الطَّفيف: هو النَّزْرُ القليلُ، والتَّطفيف: أن يُؤْخَذ أعلاهُ، ولا يُتمّ كَيْله، فهو طَفّاف[2]، والمطَفِّفُ إنَّما يأخُذُ بالميزانِ شيئًا طفيفًا، يُقال: طَفَّفَ عَلَى الرَّجُلِ؛ إذا أعْطاه أقَلَّ ممّا أخَذَ منه، وطَفَّفَ الكيلَ: قلّل نصيبَ المكيل له في إيفائِهِ واستيفائِه[3]، والمعنى هُنا: الذين يَنْقُصون النّاس، ويَبْخَسون حُقوقَهُم في الكَيْلِ والوَزْنِ[4].

2) ﴿ٱكْتَالُواْ﴾: أصْلُ الكَيْلِ: ضَبْطُ الشَّيْءِ وإمْساكُهُ[5]، يُقال: كالَ البُرَّ يَكيلُ كيْلًا، والبُرُّ مَكيلٌ[6]، والكَيْلُ: مصدرُ كِلْتُ الطَّعامَ كَيْلًا ومَكالًا ومَكيلًا أيضًا[7]، وسُمّيَ المكْيالُ بذلكَ؛ لأنَّهُ يَضْبِطُ الحَبَّ ونَحْوهُ، والكيلُ: معلومٌ، وهو ما يُكال به، والكيلُ والوزنُ سواءٌ في معرفةِ المقادير[8]، ومنَ المَجاز: كالَ الشّيءَ بالشّيءِ كَيْلًا؛ إذا قاسَه بهِ[9]، ويأْتي الكَيْلُ بمَعْنى: الإعْطاءِ، وكِلْتُ فُلانًا: أعْطَيْتُهُ، واكتَلْتُ عَلَيْهِ: أخَذْتُ منْهُ، والاسْمُ: الكيلَةُ، والكَيّالُ: صاحِبُ حِرْفَةِ الكَيْلِ[10]، والمعنى هُنا: اشتَرَوا مِنَ النّاسِ ما يُباعُ بالكَيلِ[11].

3) ﴿يَسْتَوْفُونَ﴾: (وفي) تَدُلُّ تصريفاتُه عَلى إكْمالٍ وإتْمام[12]، يُقال: أوْفَى الرَّجُلَ حَقَّهُ ووَفّاهُ إيّاهُ، أيْ: أكْمَلَه، وأتمَّه لَهُ، وأعْطاهُ وافيًا[13]، ومِنْهُ الوَفاءُ، وهوَ إتْمامُ العَهْدِ وإكْمالُ الشَّرْطِ، والوافي: الذي بَلَغَ التَّمامَ، يُقالُ: دِرْهَمٌ وافٍ، وكَيْلٌ وافٍ، وأوْفَيْتُ الكَيْلَ والوَزْنَ[14]،

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (طفف).
(2) الأزهري، تهذيب اللغة: (طفف).
(3) الراغب، المفردات، وابن سيده، المحكم: (طفف).
(4) الثَّعلبي، الكشف والبيان: 10/ 149، وابن عطيَّة الأندلسي، المحرَّر الوجيز: 5/ 449.
(5) محمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (كيل).
(6) الخليل، العين: (كيل).
(7) الجوهريّ، الصّحاح: (كيل).
(8) ابن منظور، لسان العرب: (كيل).
(9) الزّبيديّ، تاج العروس: (كيل).
(10) الرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبي، عمدة الحفّاظ: (كيل).
(11) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 8/ 346، والسَّعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 915.
(12) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (وفى).
(13) ابن منظور، لسان العرب، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (وفى).
(14) الجوهريّ، الصّحاح، والرّاغب، المفردات: (وفى).

والتَّوْفيةُ: نُموٌّ أوْ زيادَةٌ يَبْلُغُ بها الشَّيْءُ تَمام قِوامِهِ، ومعنى ﴿يَسْتَوْفُونَ﴾: يأخُذونَ حُقوقَهم وافيةً تامَّةً[1].

4) ﴿يُخْسِرُونَ﴾: (خسر) أصلٌ واحدٌ، يدلُّ على النَّقْص، فمِن ذلكَ: الخُسْرُ والخُسْران، كالكُفرِ والكُفران، والفُرقِ والفُرقان، يقال: خَسَرْتُ الميزان، وأخْسَرْتُه، وكِلْتُهُ، ووَزَنْتُهُ، فأخسَرْتُهُ؛ إذا نقَصتَهُ[2]، والخُسْرُ والخُسْران: انتقاصُ رأسِ المال، ويُنْسَبُ ذلك إلى الإنسان، فيقال: خَسِرَ فلان، وإلى الفعل، فيقال: خَسِرَتْ تِجارَتُه[3]، والمعنى: يَنْقُصونَ في الكَيْل والوَزن[4].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

الوعيدُ لِمَن ظَلَمَ النّاس، فأكَلَ حُقوقَهم احتِقارًا وازدِراءً

افتُتحتِ السّورة الكريمة بالوَعيدِ الشَّديدِ للمُطَفِّفين، الذين بيَّنَتْهُم الآياتُ بأنّهم الَّذين يَنقُصونَ في الكَيلِ أو الوَزنِ، فتوعَّدتْهُم بالعَذاب والهَلاك؛ لما يأكلونَهُ مِن أموالِ النّاس بالباطل، فإذا اشتَرَوا مِنَ النّاسِ؛ أخَذوا حَقَّهم كامِلًا، وإذا كالوا، أو وزَنوا لغَيرِهم مِن النّاسِ؛ يَنقُصونَهم حَقَّهم، فمِعيارهُم قائِمٌ على الظُّلم، واحتقارِ الآخرين، وعدم السَّويّة في المُعامَلَة[5].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

براعَةُ الاستِهلالِ في اختيارِ لَفْظِ ﴿وَيْلٌ﴾:

إحكامُ النَّسَقِ القُرآنيِّ وإبرازُ وحدةِ مَوْضوعِ البَعْثِ والجزاء في سياقٍ مُترابِطٍ

جاء افتتاحُ سورةِ المطفِّفين بلفظٍ جليلٍ جازمٍ: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾؛ إيذانًا بما تَحْمِلُه السّورةُ من وعيدٍ وتهديدٍ، وإنذارٍ شديدٍ لمن ميزانُ العدلِ في معاملاته، فكلمةُ ﴿وَيْلٌ﴾ من بديعِ ما يُستفتَح به المقامُ

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 8/ 346.
(2) الأزهري، تهذيب اللُّغة، وابن فارس، مقاييس اللُّغة، وابن منظور، لسان العرب: (خسر).
(3) الرّاغب، المُفردات: (خسر).
(4) المحلّي، تفسير الجلالين، ص: 796، والمظهري، التَّفسير المظهري: 10/ 217.
(5) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 19/ 250، وابن عطيَّة الاندلسي، المحرَّر الوجيز: 5/ 449، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 8/ 346، والسّعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 915.

الذي يرادُ به الزَّجرُ والتَّحذيرُ، فهي تُنْبِئُ عَن حلولِ الهلاكِ والشَّرِّ، وعن الفضيحةِ والبلاءِ لِمَن استحقَّه[1]، وفي التَّقديم بهذه الكلمةِ ما يُشعرُ بعِظَمِ الجُرمِ الذي تُنَدِّدُ به السّورةُ، فإنَّ التَّطفيفَ ليس خطيئةً فرديّةً فحسب، بل هو خللٌ يفسدُ نظامَ المعاملات، ويهدمُ ميزانَ الاقتصاد، ويزعزعُ الثِّقةَ بين النّاس، ولذلك عَظُم خَطرُه عند اللّه تَعالى[2].

توجيهُ الافتِتاح بلَفْظِ ﴿وَيْلٌ﴾ بينَ المُطَفِّفين والهُمَزَة:

ذمَّت السّورتان مُنتَقِصي أقدارِ النّاس، فالمُطَفِّفينَ اختصّت بالمادّيَّة، والهُمَزَةُ بالمعنويَّة

كلمة ﴿وَيْلٌ﴾ لم تُسْتَفْتَح بها أيُّ سورةٍ في القرآن الكريم سِوى سورَتَي المطفِّفين والهُمَزَة، وهذا يُشير إلى تقارُبٍ في الغاية الدّلاليَّة بَيْنَ السّورتين، وإن اختَلَفَ المَقْصودُ بالوَعيد فيهما؛ فسورَةُ المُطفِّفين تُعالج جانبًا من طُغْيانِ الثَّراء المادّي؛ إذْ تُصوِّر فئةً من النّاس غَلَبَ عليهِم الجَشَعُ وحبُّ المال، فاسْتَغَلّوا الفُقَراء، وبَخَسوا النّاس حُقوقَهُم، وغشّوا في الكَيْلِ والميزان، فكانَت حَرْبًا على الظُّلم المادّيِّ الذي يَهْدِمُ أركانَ العَدْلِ، ويُشيع الفسادَ في التَّعامل بَيْنَ النّاس، وأمّا سورة الهمزةُ؛ فإنَّها تُجسِّد وجهًا آخر من وجوه الطُّغيان، وهو الطُّغيان الأخلاقيّ والمعنويُّ؛ إذْ تصوِّر إنسانًا أعْمى حبُّ المالِ بصيرتَه، حتَّى هان عليه شرفُ النّاس وكرامتُهم، فأخذ يَهْمِزُ هذا، ويَلْمِزُ ذاك، ويَزْدَري الخَلقَ بلسانه، كما ازْدَرى غيرَه بثَرْوَتِه[3]، ومن هُنا تتجلَّى العلاقةُ البديعة بَيْنَ السّورتين: فسورةُ المُطفِّفين نزلَت فيمن نَقَصوا النّاسَ أقدارهم المادّيَّة المحسوسَةَ، والهُمزة نزلت فيمَن نَقَصوا أقدارَهُم المعنويَّة.

بلاغَةُ الخبَرِ وغَرَضُهُ الإنشائيُّ:

البَدْءُ بالوعيدِ فزَعٌ لِمَنْ كان في قَلْبِه بَصَرٌ لِمَرامي التّهديدِ

جاء قولُه تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ في أعلى درجات البلاغةِ؛

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 189.
(2) عطيَّة سالم، تتمَّة أضواء البيان: 8/ 454.
(3) الجبلي، البستان في إعراب مشكلات القرآن: 4/ 331.

إذ صيغ في صورة خبرٍ لفظًا، إنشاءٍ معنًى، فهو وإن كان إخبارًا عن واقعٍ، إلّا أنَّ المُراد به التَّهديد والوعيد، فهو دعاءٌ بالهلاك والعذابِ على المطفِّفين، لا مجرّدُ بيانٍ لحالهم[1]، والبدءُ بالوعيد في مَطْلَعِ السّورة يوجِدُ أثرَ الفزع في نفس السّامع مُنذ اللَّحظة الأولى، ويُشعره بأنّ العقوبةَ قريبةٌ منهم، مُحيطةٌ بهم لا تنفكُّ عنهم، فيَغْدو الوعيدُ حاضرًا مُلازمًا لذِكْرِهم، فاختيارُ الأسلوبِ الخبريِّ في هذا الموضِع يَكْسو الوعيدَ لِباسَ التَّقرير والثُّبوت، فيكون المعنى أشدَّ وقعًا وأرسخَ في النَّفس[2].

غرَضُ تنكيرِ لَفْظِ ﴿وَيْلٌ﴾:

نُكِّر لفظُ ﴿وَيْلٌ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ على أبلغ وجهٍ في البيان؛ إذ هو تنوينُ تهويلٍ وتفخيم، يُراد به تعظيمُ الوعيدِ وتضخيم شأن العذابِ الذي ينتَظِرُ المطفِّفين، فالنَّكرة هُنا تُصوِّر هولَ العذاب وعِظَمَ الخطَر الذي أحاط بهم، حتَّى كأنَّه عذابٌ لا يُحدُّ ولا يوصَف[3]، ذلك أنَّ التّنكير فيه مَعْنى الإبهام، ومِن الإبهام والسّياق اكتُسِب تعظيمُ الوعيدِ المَقْصود، وتفخيم التَّهديد المطلوب.

التّعظيمُ والتَّهويل مُكتَسَبٌ مِن اجتماع دلالَةِ الإبهامِ مَع السّياق

نوعُ اللّام ودلالَتُها:

اللّامُ في قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ هي لامُ الاستحقاق، أو لامُ المنفعَةِ على سبيل التَّهكّم[4]، ودلالتُها من أدقّ ما في التَّركيب وأبلغِه، فهي تفيدُ أنَّ الويل مُستحقٌّ للمطفِّفين استحقاقًا تامًّا، لا يُتصوّر أن يَنْصَرِفَ عنهم، فكأنّ العذابَ قد صارَ ملكًا لهم، ومآلًا لا ينفكُّ عَنْهُم، جزاءً لِما اقْتَرَفوهُ مِن بَخْسٍ لحقوقِ النّاس، ومن عدلِ اللّه تَعالى أنَّ مَن جار في الميزان، وطغى في المكيال، وبخس النّاسَ

المُطَفِّفون مُستَحِقّون لأشدِّ الوعيد؛ فلا يُبخسون منه، ولا يُنقصونَ

(1) القونوي، حاشية القونوي على تفسير البيضاوي: 20/ 139، والفرماوي، السَّهل المُفيد: 3/ 559.
(2) امحمَّد صافي المستغانمي، في رحاب سورة: (المطففين).
(3) الزحيلي، التفسير المنير: 30/ 111، والهرري، حدائق الرَّوح والرَّيحان: 31/ 249.
(4) القونوي، حاشية القونوي على تفسير البيضاوي: 20/ 139.

أقدارهم؛ فلا بُدَّ أن ينالَ نصيبَه من الويل؛ إذْ هو أحقُّ به وأولى، فدلالةُ اللّام إذًا تجمَعُ بين التَّقرير بعدل الجزاء والإزْراءِ بالفاعلِ المُسْتَخِفّ بذَنْبِه.

بلاغَةُ استِعْمالِ مُفردةِ ﴿لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ ودلالَتُها:

العَدْلُ الإلهيُّ يُحاسِب على صغائِر الحُقوق، ويتوعَّدُ عليها، كما هو في كبائِرِها

آثر النَّظم الكريمُ استعمالَ مفردَةِ التَّطفيف، وهو البَخْسُ في الكيل والوزن؛ لأنَّ ما يُبخَسُ شيءٌ طفيفٌ حقيرٌ[1]، وجِرْسُ الكلمة في السَّمع يوحي بالفِعْلِ الصَّغير الخفيّ الذي يتسلّل في المكيالِ دونَ أن يُدْرَك، وهو ما يناسِبُ طبيعةَ جَريمَتِهم التي تَبْدو يسيرةً في أعْيُنِهم، وهي عندَ الله تَعالى عظيمَةٌ، ولهذه المفردةِ إيماءٌ عجيب في بيان حقوق العباد، وأنّها مَهْما قلّت في أعيُن أهل الخِسَّة، فإنَّ لها وزنًا عند الله تعالى، وهو ما يدلُّ على أصلِ العدْلِ الذي قامت عليه الآياتُ، الذي أومئَ لَهُ بالويلِ.

وإذا كان الوعيدُ بالويلِ قَد نَزَلَ في شأن من بَخَسَ النّاس شيئًا طفيفًا، فكيف بمَن تجاوز ذلك إلى أخْذِ أموالهم قَهْرًا أو سرقةً؟ فالأولى أن ينالَهُم مِنَ الوعيد أعظمُه، ومن التَّهديد أشدُّه؛ إذْ إنّ الله تَعالى عدلٌ لا يَظْلِمُ النّاسَ شيئًا، ولكنّ النّاس أنفُسَهُم يَظْلِمونَ[2].

بلاغَةُ اختيار مُفْرَدَة التَّطفيف دونَ مُقارباتِها:

المُطَفِّفُ خسيسُ النَّفسِ حين يَسْتَوْفي حقوقَه، ويَنْتَقِص حقوقَ الآخرينَ

اختار النَّظم الكريم لفظَ التَّطفيف دون غيره من ألفاظ النَّقص كالبَخْسِ والإخْسار؛ لما في هذه اللَّفظة من دقَّةٍ في الدّلالة وعُمْقٍ في الإيحاء، فالتَّطفيفُ لا يَقْتَصِر على مُجرَّد النُّقصان، بل يتضمَّن الإشارةَ إلى خسّة المطفِّف وحقارَةِ نَفْسِه التي تتّجه إلى أكْلِ حقوقِ العِباد اليَسيرة بتَجاوُزٍ بَغيضٍ؛ بأخْذِ حُقوقِهم مُسْتَوْفاةً وإعطاء حقوقِ

(1) الزَّمخشري، الكشّاف: 4/ 718، والنَّيسابوري، غرائب القرآن: 6/ 462، وأبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 9/ 124.

(2) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 915، وعطية سالم، تتمة أضواء البيان: 8/ 455.

الآخرين ناقصة، أمّا لَفْظَتا البَخْسِ والإخسارِ؛ فتَدُلّان على مُطلق النَّقص دون أن تَتَضمّنا هذا التَّفاوُتَ المتعمّد بَيْنَ الأخذ والعطاء، ولذلك كان اختيارُ التَّطفيف أبلغَ وأدقَّ في تصوير حالِ هؤلاء الذين لا يَعْدِلونَ في الميزان، بل يُغلِّبون شهواتِ أنْفُسِهم على غَيْرِهم[1].

دلالَةُ صيغَةِ اسْمِ الفاعِلِ بزِنَةِ التَّفعيل:

المُطفِّف يَتكلّف الحيَلَ، ويتأمَّلُ أساليبَ الكَسْبِ الباطِل

اختيرت صيغةُ اسْمِ الفاعل (المُطفِّفين) من الفعل الرُّباعي المضعّف (طفَّف)؛ لِما فيها من الإيحاء بالفعل المتكرّر المُتعمَّد؛ إذ إنّ تضعيف الحَرْفِ يدُلُّ على شدَّة الفِعْلِ ومبالغته[2]، وأيضًا فإنَّ صيغَةَ التَّفعيل في التَّطفيف تُشير إلى التَّكلُّف والمُحاولة المقصودة، فتُشْعِرُ الصّيغَةُ بالكَثْرَةِ والمُبالغة، وهذا يدلُّ على تَكرارهم القيامَ بهذا الفعل الشَّنيع، فهم لا يَنْقُصون الكَيْلَ سَهْوًا أو غفلة، بل يتعمَّدون الحيلَةَ، ويَجْتَهِدون في الإخفاء، فجاء التَّعبيرُ القرآنيُّ بمُفْرَدَةِ المُطفِّفين مادَّة وصيغَةً؛ لتَفْضَحَ حالَهُم، وتكشِفَ عن خُبث نيَّتِهم وسوء طَويَّتهم، ولذلك استحقّوا ما توعَّدهم اللّه تَعالى به من الوَيْلِ والثُّبور والهلاك؛ جزاءً على غشِّهم المُتَعَمَّدِ ومَكْرِهِم المُسْتَتِر[3].

غَرَض جَمْعِ لفظ (المطففين):

المطففون جماعةٌ لها مفهومٌ احتياليٌّ يَتَشَكَّل في كلِّ عصرٍ بحسَبِ أدواتِهِ

جاء لفظُ المُطَفّفين جَمْعًا في قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾؛ وذلك ليَشْمَلَ الجماعةَ بأسْرِها، فكلُّ من يُمارس تطفيفَ الكَيْلِ والميزان فهوَ داخِلٌ في الوعيد، وهذا ما يَقْتَضيهِ السّياق، فهو استغراقٌ لجميع أفرادِ جماعَةِ التّطفيف، وقد عمَّم بعضُهم الدّلالة، فجعلها شاملةً لكلِّ مجالٍ من مجالاتِ الحياة[4]، وهذا وإن أُخذ مِن

(1) الصّاوي، حاشية الصّاوي على الجلالين: 4/ 339، والدُّرَّة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه: 10/ 488.

(2) الصّافي، الجدول في إعراب القرآن: 30/ 268.

(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 189.

(4) الإمام مالك، الموطأ، (جامِعُ الوُقوتِ): 2/ 17، وابن عطيَّة، المُحرَّر الوجيز: 5/ 449، وابن العربي، أحكام القرآن: 4/ 366، والعثيمين، تفسير ابن عثيمين - جزء عم، ص: 93.

فحوى الكلام إلّا أنَّه لا يستقيم مع دلالةِ السّياق، فاللَّحاق واضحٌ في بيانِ المقصودِ مِن هَذا اللَّفظ.

علّة فصْلِ جُمْلَة ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُواْ﴾ عمّا قبلَها:

كَشْفُ حقيقةِ المُطفِّفين وشَرْحُ صِفاتِهم تعيينٌ للمَقْصودِ بالوَعيدِ

فُصِلَت جملةُ: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ عمّا قَبْلَها مِن قوله: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾؛ وذلك لأنَّ الجُملة الثّانية جاءت بيانًا وتفسيرًا للأولى، فهي بمنزلة كشفٍ لحقيقة المُطَفّفين وشرحٍ لصِفاتهم التي استحقّوا بها ذلك الوعيدَ الشَّديد[1]، فيكونُ بين الجملتَين كمالُ الاتِّصال، ويَحْتَمِلُ أن تكونَ مِن شِبْهِ كمالِ الاتِّصال على الاستئنافِ البيانيِّ، وكأنَّ السّامع حين سَمِعَ قولَه تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ قد تَشوَّف إلى معرفة مَن هؤلاء المُطَفِّفون؟ وما صورَتُهُم التي توجِبُ الوَيْلَ والعذاب، فجاءت الجملةُ المفصولةُ بعدَها جوابًا عن هذا السّؤالِ الكامِن في النَّفس، وذلك على جَعْلِ الاسم الموصول خبرًا لمبتدأٍ محذوف، أمّا إن جعلنا الاسمَ الموصول صفةً للمطفّفين؛ فلم تأتِ الواوُ؛ لأنَّ مِنْ شأنِ الصِّفةِ ألّا يُفصل بينَها وبينَ موصوفِها بواوٍ.

دلالةُ التَّعبير بالاسْمِ الموصولِ:

التَّنبيهُ على عِلّة الحُكمِ وتحديد مناطِه وذَمُّهم بما في حيِّز الصِّلة

جاء بيان المُطفِّفين بالاسْمِ الموصول ﴿ٱلَّذِينَ﴾؛ لاشْتِمالِ صِلَةِ الموصول على بيانِ سُلوكِهم، وهو أنّهم يقومون بالاستيفاءِ عند الاكتيال لأنفُسِهم، وبيان أنَّ هذا السّلوك هو عِلّة الحُكم وتحديد مناطه، فالآية تُشير إلى أنَّ استحقاقَهم للويل لأجْلِ ما وُصفوا به من أفعالِهم الشَّنيعة المتمثّلة في التَّطفيفِ عندَ الكَيْلِ والوَزْنِ[2]، فالمقصودُ ذمُّهم بما في حيِّز الصِّلة مِن مَعْنًى، والإشعار بعلَّة ما اعتراهُم من الحالِ الفَظيعَةِ والأمر الهائل بسبَب تَطْفيفِهم،

(1) الهرري، حدائق الروح والريحان: 31/ 218.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 15/ 274.

فالتَّعبير بالموصولِ إنباءٌ عن حالهم القبيحة وأخلاقهم المذمومة، فكأنَّهم عُرِفوا بجُرْمِهم، وصار فِعْلُهُم المعيبُ عنوانًا عليهِم.

غرَضُ استِعْمالِ أداةِ ﴿إِذَا﴾:

التَّطفيفُ مَنْهَجُ حـيـاةٍ لا أمـرٌ عـارضٌ أو حدَثٌ طارئ

جاء التَّعبير القرآنيُّ بأداة الشَّرط ﴿إِذَا﴾ دون (إن)؛ لِما فيها من الدّلالة على تحقُّق الوقوع، ولمّا كان سلوكُ المطفّفين في بَخْسِ الكَيْل والميزان سلوكًا ثابتًا مُتكرِّرًا، لا يقَعُ مِنْهُم عرَضًا أو اتِّفاقًا، بل هو عادة مُلازمة وخُلُق مُتأصِّل؛ كان من تمام البلاغةِ أن يُعبَّر عن أفعالهم بأداة الشَّرْطِ ﴿إِذَا﴾؛ لتصوير ثبوت هذا الفعل فيهم وتحقُّقه منهم، وأنَّ ذمَّهم لم يكن لأمرٍ عارض، بل لمنهجٍ سلكوهُ في التَّعامل التِّجاريِّ، أصبح لهم دَيْدَنًا وديدنًا.

بلاغةُ استِعْمالِ مفردة ﴿ٱكْتَالُواْ﴾ مادَّة وصيغَةً:

اكتيالُ المُطَفِّفين يَـنْـطَـوي على تَـكَـلُّف الحيلَةِ لـلـوُصـول إلى المالِ الباطِلِ

الاكتيالُ: افتِعالٌ مِن الكَيْلِ فيه إعلالٌ بالقَلْبِ، قُلِبَت عينُ الفعل ألفًا؛ لتحرُّكِها بعدَ فتحٍ، ووَزْنُهُ: افْتَعَلوا[1]، والنَّظم الكريمُ اختارَ لفظَ ﴿ٱكْتَالُواْ﴾ دون (كالوا)؛ لِما في صيغة (افتعلَ) من دلالَةٍ على التَّكلُّف والمبالغَةِ والاجتِهاد في الفِعْلِ، فهيَ تُفيدُ أنَّ الفاعل يَبْذُلُ جُهْدًا في تحصيلِ غَرَضِه، ويتصَرّف برأيه وحيلَتِه؛ ليَبْلُغَهُ، فهم يَكيلون لأنفُسِهِم مِن مال غَيْرِهِم[2].

فالمطفِّفون حين يكتالونَ على النّاس، يُشاركون البائعَ في عَمَليّة الكَيْلِ، غيرَ أنَّهم يستعملون فيها دَهاءَهُم ومَهارتَهُم حتّى يُرغموا البائعَ - طوعًا أو حياءً أو خِداعًا - على أن يُجري لهُم الكيلَ كما يُريدون، ففي ﴿ٱكْتَالُواْ﴾ إشعارٌ بأنَّ فِعْلَهُم يَنْطَوي على اجتهادٍ في الظُّلم وتفنُّنٍ في الأخْذِ بغَيْرِ حقٍّ.

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 190، والصّافي، الجدول في إعراب القرآن: 30/ 267.
(2) أطفيش، هيميان الزّاد: 15/ 209.

بلاغةُ التَّضمينِ ودلالتُه:

المطفِّفُ يحتالُ في الاكتيالِ طلبًا للرِّبْحِ الحرامِ

حقُّ فعلِ (الاكتيال) أن يتعدَّى بحرف الجَرِّ (من)، ولكن عُدّي بحرف الجَرِّ ﴿عَلَى﴾؛ لتَضْمينِ ﴿ٱكْتَالُواْ﴾ مَعْنى التَّحامُلِ والتَّسلُّط والاستعلاء والاحتيال، أي: إلْقاء المَشقَّةِ على غَيرِه وظُلمِه؛ ذلك أنَّ شأْنَ التّاجرِ وخُلُقَه يَتَطلَّبُ تَوفيرَ الرِّبحِ، وأنَّه مَظِنَّةُ السَّعةِ، ووُجودِ المالِ بيَدِه، فهو يَستَعمِلُ حاجةَ مَن يأْتيه بالسِّلعةِ، وقال بعضُ أهل العلْم: إنَّ الحَرفَينِ (مِن) و(عَلى) يَتعاقَبانِ في هذا المَوضِعِ؛ لأنَّه حَقٌّ عليه، فإذا قالَ: اكتَلْتُ عليك، فكأنَّه قال: أخَذْتُ ما عليك، وإذا قالَ: اكتَلْتُ منك، فكقَولِه: استَوفَيْتُ منك[1]، والقولُ بالتَّضمين مقدَّمٌ على القول بالتَّعاقب؛ ذلك أنّ التَّضمين يُبْقي الحرفَ على أصلِ دلالَتِهِ مع ما فيه مِنْ بلاغةِ إيجازٍ، والقولَ بالتَّعاقب بين الحروفِ يَضْمُرُ معَهُ صوتُ البلاغةِ.

بلاغَةُ الإيجاز بحَذْفِ المفعولِ:

الحذفُ والذِّكر مرتَهنٌ بمقاصدِ النَّصِّ لا بإطناب البيانِ

حُذف مفعولُ فعل ﴿ٱكْتَالُواْ﴾ في قولِه تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾، والتَّقدير: اكتالوا مكيلًا أو سلعةً؛ وذلك لأنَّ مقصودَ السّياق بيانُ حالِهم في المُعاملَة وسوء صَنيعِهم في الأخْذِ والعطاء، لا تعيين ما اكْتالوهُ[2]، فجاء الحذفُ مِن بابِ الإيجازِ؛ إذْ كان المفعولُ معلومًا مِن طَبيعَةِ الفعْلِ نفسِه، ولا حاجة إلى ذِكْرِه؛ إذْ يُفهَمُ ضِمْنًا أنَّ المُراد به ما يُكال، أو يُباع بالكَيْلِ[3].

غرَضُ فنِّ الإدماجِ:

الـكَـشْـفُ عن الخَصْلة السّيِّئة والتّوطئةُ لبيانِ قُبْحِ ما بعدَها

جاءت جملة: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ على سبيل الإدماجِ البَديعيِّ؛ إذ أُدرِجَت لتكشِفَ عادةً ذميمةً مستقرّةً في نفوس

(1) الزَّمخشري، الكشّاف: 4/ 719، والبيضاوي، أنوار التَّنزيل: 5/ 294، وأبو حيّان الغرناطي، البحر المحيط: 10/ 426.

(2) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 9/ 125.

(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 191.

المُطفّفين، وهي شِدَّة حِرْصِهم على استيفاءِ حُقوقِهم من النّاس بغَيْرِ وجهِ حقٍّ، وطلَبُهُم الزّيادةَ فيما ليسَ لَهُم، فالإدماج هنا لم يُقصد به بيانُ فِعْلِهم وحدَهُ، وإنَّما التَّمهيد للذَّمِّ الأشدّ في الجملة التّالية: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾[1]، فهم لا يُفرّطون في حقٍّ لأنفسهم، ولا يجهلون سبيل ذلك، وفي الوقت نفسِه لا يوفون حقَّ غيرِهم، وقد جاء هذا الإدماجُ في موقعه أحسنَ ما يكون؛ إذْ جَمَعَ بَيْنَ التَّمهيد للذَّمّ والبيان لعِلّة الوعيد، فحَسُن موقِعُهُ وجَمُلَت بلاغَتُهُ، فصار ذِكْرُ اكتيالِهم على النّاس تمهيدًا للخَصْلَةِ السَّيّئة وتوطئةً لإبراز قُبْحِها في مقابلِ ما بعدَها من إخْسارٍ وظُلْمٍ.

دلالَةُ استِعْمالِ مُفردة ﴿يَسْتَوْفُونَ﴾ مادَّة وصيغةً:

مَن أنقَصَ غيرَه عند العطاءِ؛ زاد نفسَه عندَ الأخذِ

الاستيفاءُ هو أخذ الشَّيء تامًّا غير منقوصٍ، وقد جاءت صيغة ﴿يَسْتَوْفُونَ﴾ على وزْنِ (يستفعلون)، والسّين والتّاء فيه للمبالغة في الفِعْلِ، لا لِطَلَبِهِ؛ إذ المعنى أنهم يأخذون حقوقهم وافيةً كاملةً بل يتجاوزون الحَدَّ في ذلك، فيَحْرِصونَ على أن يَغْنَموا كُلَّ جزء، ولو يسيرًا، ففي بناء الفعل بصيغةِ الاستفعال إيماءٌ إلى شدَّة حِرْصِهم وتكلُّفهم في تحصيل التَّمام، فهم لا يكتفون بالحقِّ المشروع، بل يَجْتَهِدون في تحصيل ما فوقه بالحيلَةِ والمُخادعَة، أمّا أصلُ الفعل؛ فمشروع في ذاته؛ إذْ أخذُ الحقّ وافيًا ليسَ بمَذْموم، بَل هو عدلٌ أوجبَهُ الشَّرع، ولا سيّما في الرّبويّات كالحبوب والثِّمار ونحوها، لكنَّ موطن الذَّمِّ هُنا أنَّهم جاوزوا حدودَ العدل، فاسْتَوْفَوا لأنفُسِهم بأكثرَ مِمّا لهم، ثُمَّ بَخَسوا غيرَهم عند الكَيْلِ والوزن[2]، فدلالَةُ الذّمّ لَحِقَتْهُم؛ باعْتِبار التَّقابل السّياقيّ، لا باعتبار ما أفادَتْهُ المُفْرَدَة وحدَها، ففُهِمَ المقصود بالاستيفاء بأنَّه أخْذُ الحقّ وزيادة، باعتبار

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 190.

(2) القونوي حاشية القونوي على تفسير البيضاوي: 20/ 140، والميداني، معارج التَّفكُّر ودقائق التدبر: 15/ 317.

أنَّهم عندَ البيع يَنْقُصون، ويُخْسِرون، فمَن أنقص عند العطاءِ؛ زاد عند الأخْذِ، وهو المعنى المُتَلائِمُ مع لفظِ الاكتيالِ.

نُكتة التَّعبير بصيغة المُضارع:

تصويرُ خفايا النُّفوس الخَسيسَةِ المائِلَة بطَبْعِها إلى الاحتيال في الاكتيالِ

جاء الفعلُ في قوله تعالى: ﴿يَسْتَوْفُونَ﴾ بصيغةِ المُضارع؛ لتصويرِ مَشْهَدِ الاسْتيفاءِ البَغيضِ الذي يَكْشِفُ عَن خفايا صنيعِهم، وبيان أنَّ استيفاءَهُم ليسَ عابرًا، بَل هو متجدِّد بتجدُّد شراهتهم، وخسَّة طَبْعِهم، فهي متأصِّلة في النُّفوس، فالمُضارعُ يُصوّر حالَهم في هيئةٍ دائمةٍ مُتكرِّرةٍ، فهُم يُمارسون هذا الخُلُق الذَّميم كُلَّما سَنَحَت لَهُم فُرصةُ الكَيْلِ والوزن.

بلاغَةُ الإيجاز بحَذْفِ المَفعولِ:

دلالةُ السّياق كاشفةٌ عن المحذوفِ مُناديَةٌ على المَطْلوب

حُذِفَ مفعولُ فعلِ ﴿يَسْتَوْفُونَ﴾؛ إيجازًا لمعرفَةِ المَحْذوفِ من دلالةِ السّياق؛ إذ سَبَق في الآية ذِكْرُ قولِه تعالى: ﴿إِذَا ٱكْتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾، فدلَّ ذلك على أنَّ استيفاءَهم إنَّما هو مِن النّاس أنفسِهم، فاستُغني عنهُ بما يُفهَم من المقام، وأيضًا فإنَّ هذا الحذفَ أدقُّ في التَّصوير وأبلغُ في التَّوبيخ؛ إذ يجعل السّامعَ يتوجّه بذِهْنِه إلى فِعْلِهِمُ الشَّنيع ذاتِه دون ذكر مُتعلِّقه[1]، فالآية تُلقي الضَّوءَ على نَهَمِهم في الأخْذِ، فيَستَوفونَ كلَّ ما يُمْكِن أن يُستوفى، لا يَقْتَصِرون على نوعٍ دون آخر.

فائدَةُ العَطْفِ التَّقابُليّ:

إظهارُ قُبْحِ سُلوكِ المطفِّفين في اختلافِ المَعايير بحَسَب المَصْلَحَةِ

عُطِفت جملةُ: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ على ما قَبْلَها: ﴿إِذَا ٱكْتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾؛ لما بين الجُملتين من التَّوسُّط بين الكمالين، فإنَّهما متَّحدتانِ خبرًا، وبينهما تناسُبٌ في اللَّفْظِ والمعنى، فأمّا في اللَّفْظِ؛ فاشتراكُهُما في الفعليَّة؛ إذ التَّحقيق في جملةِ الشَّرْطِ أنَّه يُنظر إلى اسميَّتِها أو فعليَّتها بحسب جوابِها، وأمّا

(1) المظهري، التفسير المظهري: 10/ 217.

في المعنى؛ فبينَ الجملتَيْنِ تقابلٌ معنويٌّ وتضادٌّ في الدّلالة؛ إذ عَبَّرت الأولى عن حالِهم في الاستيفاءِ لأنفُسِهم، وجاءت الثّانية؛ لتُظهر جَوْرَهُم على غَيْرِهم حالَ الإعطاء؛ لأنَّ مساقَ الكلام لبَيانِ سوءِ مُعامَلَتِهم في الأخْذِ والإعطاء، فالعَطْفُ هُنا تقابليٌّ يُبرز سُلوكهم المُشين، فإذا أخذوا لأنفُسِهم؛ استوفَوا، وزادوا، وإذا أعطَوا غيرَهم؛ بخَسوا، ونقصوا[1].

نكتَةُ استِعْمالِ أداةِ (إذا):

افتُتحت الآيةُ الكريمَةُ بأداةِ الشَّرط (إذا)؛ لِما فيها مِن دلالةٍ على الاستقبال والثُّبوت، فهي تُفيد وقوع الفعل على وجه التَّحقيق والتَّكرار والاعتياد، لا على وجهِ الاحتِمالِ أو النُّدرةِ.

بلاغةُ التَّعدية بالفِعْلِ نفسِه لا بالحَرْفِ:

إظـهـارُ نَـظْـرَةِ المُطَفِّفين للنّاس على أنّهم أمتعَةٌ وأقواتٌ

عُدّي فِعْلا ﴿كَالُوهُمْ﴾ و﴿وَّزَنُوهُمْ﴾ إلى الضَّمير بأنفُسِهما دون حرفِ الجَرِّ، فلم يأتِ النَّظْمُ القرآنيُّ: (كالوا لَهُم، أو وزَنوا لهم)، وهذا الحذف من قبيلِ الإيجازِ اللُّغويِّ المألوف في كلام العربِ حينَ يَكْثُرُ دورانُ الفِعْلِ على الألسن، فيُحذف الجارُّ، ويوصل الفعلُ بنَفْسِه تخفيفًا[2]، وأيضًا فإنّ تعديةَ الفِعلَيْنِ دون اللّام تحمِل نكتة بلاغيَّة دقيقة؛ إذ تُشْعِرُ بأنّ المطفّفين يتولَّون الكيلَ والوزن وحْدَهُم، دونَ أن يُشْرِكوا غيرَهُم في ذلك؛ ليُتيح لهُم هذا الانفرادُ التَّحكُّمَ في المكيال والميزان وإيقاع البَخْس في حَقِّ المُشْتَري[3]، وأيضًا فإنَّه يُشير إلى أنَّهم تَعامَلوا مع النّاس على أنَّهم مكيلاتٌ تُكال، فكأنَّهم يكيلونَ النّاس أنفسَهم، وهذا معنى يَكْشِفُ عن شخصيَّة المطَفِّف؛ إذْ يتَعاملُ معَ النّاس على أنّهم أمتعَةٌ وأقواتٌ تُكال، وتوزَنُ، وهو ما

(1) الحصني، المقتطف من عيون التفاسير: 5/ 451.
(2) أبو حيّان الغرناطي، البحر المحيط: 10/ 426، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 191.
(3) الخطيب، التّفسير القرآني للقرآن: 16/ 1488.

يُظهر نَظْرَتَهُم للآخرين، على أنّهم أموالٌ يُنْتَفَعُ بها، لا أنَّها مصالِحُ تُقْضى للجَميعِ.

بلاغَةُ المُناسبة في اختيار الأسلوب:

نَـقْـصُ الألـفـاظِ يتَّسِقُ معَ نَقْصِ الأفعالِ

جاء التَّعبير القرآنيُّ في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ في غاية الإيجاز البلاغيِّ، فصوّر حذفُ الحَرْفِ النَّقصَ في اللَّفظ؛ ليُجسِّد النَّقْصَ في الفعل، فكان الأسلوبُ مرآةً لمعناه، فالتَّطفيف في ذاته بَخْسٌ ونقْصٌ، فوافَقَهُ نقْصٌ في البِنْيَة اللَّفظيَّة؛ ليُصْبِحَ الإيجازُ صورةً فنّيَّة لمَعْنى البُخْلِ والغَبْن[1]، ثُمَّ إنَّ حذفَ الجارِّ هُنا جاء كذلك إيجازًا وتخفيفًا لِما كَثُر استِعْمالُهُ في كلام العَرَبِ، مِن نحوِ قولِهِم: كالَ لَهُ طَعامًا، فخَفَّفوه إلى: كالَهُ طَعامًا[2].

توجيهُ علَّة ذِكْرِ الوزن في الجملةِ الثّانية دون الأولى:

مطابقَةُ الكلامِ لمُقْتَضى الواقِعِ عينُ البلاغَةِ

اقتصرَ البيانُ في الجملة الأولى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ على ذِكر الكيلِ دون الوزن، بينَما في الجملة الثّانية ذَكَر الكيلَ والوزن: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾؛ وذلك لأنَّ الاقتصار جاء موافقًا للغالِب في عادات المُطَفِّفين؛ إذ كانوا في معاملاتهم يأخذونَ السِّلع بالكيل أكثرَ مِنَ الوزن؛ لأنَّ أكثرَ ما يُجلَبُ إليهم من الأطعمة كالتَّمر والحبوبِ ممّا يُكال، فيَستَوْفونَها بالكيل، ويَدفعون أثمانَها وزنًا من ذهَبٍ أو فِضَّة، فناسب أن يُعبَّر عن معاملاتهم من جهَةِ الأخْذِ بالفعل ﴿ٱكْتَالُواْ﴾ دون ذِكْرِ اتّزنوا؛ إذ الكَيْلُ هو الغالب في باب الأخْذِ عندَهُم[3].

وأيضًا فإنّه قد يكون هذا مِن موافقَةِ الواقِعِ، فكان تَطْفيفُهُم واقعًا في الكَيْلِ دونَ الوَزْنِ، فاكْتَفى به عن ذِكْرِ غيره، أمّا الوزنُ؛

(1) امحمد صافي المستغانمي، في رحاب سور: (المطففين).
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 191.
(3) الزَّمخشري، الكشّاف: 4/ 720، والبقاعي، نظم الدُّرر: 21/ 313، وزكريا الأنصاري، فتح الرحمن، ص: 602، وأبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 9/ 125.

فذُكِر في الشِّق الثّاني؛ زيادةً في التَّوبيخ وتعميمًا في الذَّمِّ؛ إذْ كلٌّ من الكيل والوزن ميزانُ عدلٍ شرعَهُ الله تَعالى، كما قال سبحانه: ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ﴾ [الحديد: 25][1].

نكتةُ التَّعبير بمُفْرَدَةِ ﴿يُخْسِرُونَ﴾ دون (يُنقصون):

إخسارُ النّاسِ مَطْمَعُ المُطَفِّفين ومَسْلَكُ المُجرمينَ

اختارَ القرآنُ الكريمُ لفظَ ﴿يُخْسِرُونَ﴾ دون (يُنقِصون)؛ لأنَّ مادة الخُسْر أبلغُ في الدّلالة على الظُّلم والاعتداء، فهي لا تُفيد النّقص فحسبُ، بل توحي أيضًا بالظُّلم والإجحافِ والاعتداءِ على حقِّ الآخرين، فالنَّقص يدلُّ على تقليلِ المقدار، أمّا الخُسرانُ؛ فيَجْمَعُ بين الضَّرر المادّيِّ والمعنويِّ؛ إذْ يُقال: خَسِرَ الرَّجلُ؛ إذا لَحِقَهُ الضَّرر، وأخْسَرَه غيرُه؛ إذا جعلَهُ يَخْسَرُ، ومِن ثَمَّ كان استعمالُ ﴿يُخْسِرُونَ﴾ أنسبَ في مقامِ التَّوبيخ والتَّقريع؛ لِما فيه مِن معنى التَّعدّي والجَوْر، ولأنَّ التَّطفيفَ في ذاته خسارةٌ في الميزان، وخسارٌ في الأخلاق، فهو أبلغ في تصوير فداحة فِعْلِهم، وأقوى في إظهار شناعتِه[2].

نكتةُ التَّعبير بصيغةِ المضارع:

جاء التَّعبير بالفعلِ المضارع ﴿يُخْسِرُونَ﴾؛ للدّلالة على الاستمرار والتَّجدّد، أي: إنَّهم لا يَكْتَفون بفِعْلِ التَّطفيف والإخسارِ مرَّة أو مرَّتين، بل هو دَيدَنُهم وعادَتُهم المُستمرّة.

بلاغَةُ المُقابلة بَيْنَ الآيَةِ وسابِقَتِها:

الإبانَةُ عَن تَناقُضِ المُطَفِّفين في حالَيِ الأخْذِ والإعْطاءِ تَبْشيعًا لفِعْلِهِم

جاءَت المُقابلَةُ في قولِه تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾، في أبْهى صوَرِها وأدَقِّ نظامِها؛ إذ أبانَت عن تناقُضِ حال المُطفِّفين أبلغَ بيانٍ؛ فهُم إذا أخذوا حقوقَهم من النّاس؛ استَوفَوها كاملَةً بغَيْرِ نقص، وإذا كان

(1) الطّيبي، فتوح الغيب: 16/ 339، 340.

(2) ابن جُزي، التَّسهيل لعلوم التنزيل: 2/ 460، والطَّبراني، التفسير الكبير: 6/ 458.

العطاءُ مِن جِهَتِهِم بَخَسوا، وأنْقَصوا، وقد أضْفَت هذه المُقابلةُ جمالًا بيانيًّا بديعًا على الآية، فجمعَت بين الإيجاز والدِّقَّة والتَّقابل البديع الذي يُظْهِرُ شدَّة ظُلْمِهِم وجَوْرِهم في المُعاملة، كما زادَت المَعْنى رسوخًا في الذِّهن وتأثيرًا في النَّفس بتصوير حالِهِم تصويرًا حيًّا يَلْمَسُهُ السّامع، فهي مقابلَةٌ تَزيدُ المعنى جلاءً في النَّفس، وتُلبِس اللَّفظَ رونقًا من الجمال، وتؤكّد التَّوبيخ في السَّمع والقلب تأكيدًا يُرَسِّخ أثرَه في النَّفس[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الكَيْلُ والوَزْنُ:

الكَيْلُ هو تقديرُ مقدارِ الشَّيء من حيثُ الحَجْمُ، فيُقال: كِلْتُ الطَّعام كيلًا ومكيالًا، أي: قدّرتُه بما يُكال به، والمكيال هو الآلَةُ التي تُسْتَعْمَلُ في ذلك، كالوعاءِ أو القدَح، ومنه سُمّي الشَّيء المُقدَّر به مكيلًا أو مكيولًا، أمّا الوَزْنُ؛ فهو تقديرُ مِقْدارِ الشَّيء من حيثُ الثِّقل، والميزانُ هو الأداة التي يوزن بها، وأصلهُ "مِوْزان"، ويُقال: زِنْتُ الشَّيء وزنًا ووزنةً، أي: قدّرتُ ثِقَلَهُ، كما يُعدّ الميزانُ أعمَّ مِن المكيال؛ لأنَّه يُستعمَل في المادّي والمعنويِّ، فيُقال: وزَنَ كلامَه، أي: قدّره بميزانِ العَقْلِ والاعْتِدال[2]، فالكيلُ إذًا يختصّ بما يُقدَّر بالحَجْم، والوزن بما يُقاس بالثِّقل، وبينَهُما تكامُلٌ في ضَبْطِ المَعايير وإقامة العَدْلِ في المُعاملاتِ.

الكَيْلُ يَخْتَصُّ بِما يُقَدَّر بِالحَجْمِ، والوَزْنُ بِما يُقاس بالثِّقل

الوَيْلُ والوَيْحُ:

تُقالُ كلمةُ (ويح) زجرًا لِمَنْ أشرفَ على الهَلَكة، ولَم يقَعْ فيها بعدُ، فهي نداءُ رأفةٍ وتحذيرٍ قبل حلولِ العقوبة، أمّا (ويل)؛ فهيَ

الوَيْحُ كَلِمَةُ تَحْذيرٍ والوَيْلُ كَلِمَةُ وعيدٍ وتَهْديدٍ

(1) أبو حيّان الغرناطي، البحر المحيط: 10/ 426، والدَّرويش، إعراب القرآن: 10/ 411، والصّافي، الجدول في إعراب القرآن: 30/ 268.

(2) المصطفوي، التَّحقيق في كلمات القرآن الكريم: 13/ 87 - 98، وقاسم القونوي، أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء، ص: 80.

زجرٌ ووعيدٌ لمَن وقع في البلاء والهلكة فعلًا، واستحقَّ العذابَ والفضيحةَ لا محالة[1]، فكانت أنسبَ بالمقامِ الذي يتحدّث عن المطفِّفين، الذين خاضوا في الإثم فعلًا، ولم يبقَ في شأنهِم موضعُ تحذيرٍ بل موضعُ إنذارٍ وتهديد، ثُمَّ إنَّ لفظةَ (ويح) قد تُستعملُ أحيانًا في مقام الإعجاب أو الترحّم، كما يُقال: ويح ابن عبّاس! أي: كأنَّه تعجُّب من بديع قوله؛ ولذلك لَم تُلائم هذا الموضعَ الذي يغشاه جلالُ الغَضَبِ الإلهيّ وشدّةُ الوعيد[2].

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 31/ 82، والخازن، لباب التأويل: 4/ 403، والهرري، حدائق الرَّوح والرَّيحان: 31/ 216.
(2) الجبلي، البستان في إعراب مشكلات القرآن: 4/ 331.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والستون،
سورة النَّازعَات من الآية 27 إلى سورة الأعْلى الآية 05
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والستون، سورة النَّازعَات من الآية 27 إلى سورة الأعْلى الآية 05
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 66 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-643-45-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 66 : المجلد السادس والستون، سورة النَّازعَات من الآية 27 إلى سورة الأعْلى الآية 05.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-643-45-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6448894 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"